

"تدمر": العذاب البشري صافعاً الديكتاتورية

حفروا في الأرض وأعادوا بناء السجن داخل مدرسة بيروتية مهجورة: سجن تدمر المرعب. أرادوا توثيق جراح الذاكرة، حفّظها من بطش جلاديها وتلقين الآخريين دروس العذاب البشري. "تدمر"، وثائقي لمونيكا بورغمان ولقمان سليم، اختزال فجيعة الجريمة.



فاطمة عبدالله

شئتُ تجنّب المشاهدة وتفادي الكتابة، فالكلمات من مسافة مؤلمة للذات، تُضاعف مسؤولية النقل الصادق لمعاناة الآخر. مراراً، تراجعت وتوجّعت، ثم صمّمت ووجدت في الكتابة مساهمة إنسانية بمدّ اليد إلى قضية وطنية كبرى كقضية المعتقلين في السجون السورية. الوثائقي (عرضته "العربية")، شهادات ناجين من جحيم سجن تدمر وسطوة وجوشه أزلّام الضمائر الملعونة. إنّه مواجهة الانكسار بالبقاء والموت بالإرادة القوية. استعادة من وجهة نظر الضحية، من وعيها الكلّي وظلمات الصور.

نسمع عن فضيحة السجون السورية وأوساخ ضباطها وعسكريها، و"الحكي مش مثل الشوفة". الوثائقي يذهب بعيداً: إلى العمق المخيف والفقوة الباردة. القسوة إشكالية مُلحقة بإشكالية جوهرية تتعلق بتمادي الفاعل والصمت حيال الفعل. بورغمان وسليم وضعوا المجرم أمام بشاعته المطلقة. قدّمه إلى الجمهور بأقصى لحظات المذلة الإنسانية. تتخذ إعادة التجسيد دور الحفر بتجليّاته الصادمة:

المائلة في همجيتها، ولكن فلنتشاركها برجاء التحية لنفوس حزينة: دعك من عدّ السجين ضربات سجّانه. موعد الحلاقة مُعدّب أكثر. يصبح الوجه حيزاً دمويّاً، ولا يبقى في العين رمش يحميها. أكل صراير وعصفور ميت تجتمع حوله نمال جائعة. "كيف أمضيت الأعوام الخمسة؟". "بحمد الله على النجاة بعد كلّ جولة. تعلّمت صداقة الحشرات. نأكل معاً طوال الوقت ونتحدّث".

fatima.abdallah@annahar.com.lb
Twitter: @abdallah_fatima

حفّر في الرؤوس المتدرجة، في العيون المفقوءة، في النجاة والمصادفة. تلتصق القسوة بالمشهد، تجرّده من سياقاته السردية، ترفعه إلى مستوى الإنذار الأعلى. قسوة مُجسّدة برعب الأدوات: الكرباج، الدولاب، الذلّ، الشتيمة. الوثائقي انتصار إنساني لقضية الاعتقال في السجن السوري. خروجه إلى العلن صفة للديكتاتورية، وشهادات الأحياء فيه وردة للضحايا، لمن ماتوا تحت التعذيب ومن اختفوا تاركين في القلوب عطوباً أبدية. نأسف لهذه اللمحات